فَوَائِدُ مُنْتَقاةٌ مِن رحلةِ شَيْخِنا العلامة مَشهُور بن حسَن سلمان إلى بلادِ الهِـند

الحمدُ للَّـهِ، والصّلاةُ والسَّلامُ على رسول اللَّـه، وعلى آله ومَن تبع هُداهُ إلى يومِ لُقيـاه، أمَّا بعدُ:

فقدْ وفقّ اللَّـهُ شيخنا أبا عُبيدة –حفظه الله– للرّحلةِ إلى بلاد الهِـند، منذ ما يقرب من ثلاثة أسابيع، ومكثَ فيها أسبوعين، قضاها –وفقه الله– مُتنقِّلاً بين ولايات الهِند،؛ مُنقِّبًا عن نفائس المخطوطات ودُرَرِها، ومدرِّسًا، ومُحاضرًا في مدارس الهند وجامعاتها، وزائرًا لبعض الصُّروح العلمية ومناراتِها؛ فزار عِدّة ولايات، وتجوَّل طويلاً .

كان النُّزُول في ولاية: (مُومباي) ثمَّ انتقل إلى (كالكُوتَّا) ثمَّ مِنها إلى (جهراكـند)، ثمَّ إلى (بنارس) ثمَّ إلى (بَتـنَا) ثمَّ إلى (نيبال)، ثمَّ العودة إلى(كالكُوتَّا) ثُمَّ (مُومباي) .

وكعامّـة الرَّحلات العلمية التي تحملُ بينّ طيّاتها الفوائد النوادر، وجديدَ الأخبار، عن التُّراث، والأمصار؛ رجع شيخنا يحكي لنا عن هذه الرّحلة الفريدة؛ في دقائق بعد انتهائه مِن شرح «صحيح مُسلم»؛ حيث عرَّج –سريعًا– على الرِّحلة، على أن يُفرد تفاصيلها في كتابٍ مُستَقل، فانتقيتُ بعض الفوائد، ورتَّبتُها؛ رجاءَ الفائدة، وهاكَ إيرادَهـا:

1. الهِندُ بلدٌ كبير، وتحتاج إلى دعوةٍ كبيرةٍ، وأهلُها أحوجُ النَّاس إلى الدَّعوة إلى اللَّـه –عزَّ وجَّل– .

2. العجيب أنْ ترى مِن الآلهة –التي تُعبد مِن دون اللَّـه– مِن العدد الذي يصعب إحصاؤه، أو يستحيل ! .

3. صنيعُهم في اللجوء لبعض الأصنام ووضع آكاليل الزُّهور؛ والتّقرب لها= ذَكَّرَ بصنيعِ كُفَّار قُريش!.

4. قال شيخُنا أبو عُبيدة: ركبتُ سيَّارة، فوضعتُ قدمي فوقَ رُكبتي –للألمِ الشَّديد الذي كانَ أسفلَ ظهري!–، فأشارَ إليَّ السائق أنْ نَزِّل قَدَمكَ!، وأشار إلى إلهه الذي بجانبه!، وأنَّ قدمي أصبحتْ بالقُربِ مِن إلهِهِ –الذي يعبُدُه–!، وقال لي: هذا ربِّي(1)!!

5. كُلُّ شيءِ عندهم يُعبد!، وما أكثر الخُرافة! .

6. القوم هناك يحتاجون إلى تعليم شديد، والدّعاة الذين يأتُوننا منها أهلُ الهِند أولى بدعوَتِهِم! .

7. أهل القارَّة انْقسموا إلى قِسمين: أهل الحديث –كثَّرهم اللَّـهُ، وباركَ فيهم–، ورأس أهل الحديث هناك في (بنارس) الجامعة السَّلفية، وهو صرحٌ علميٌّ ضخم، زارهُ كِبار العُلماء السَّلفيين في العالم؛ مِن مشايخ الحجاز، والمغرب، وكذلك الهِـند مِن المُحدِّثين المُنشغلين بإقراء، وتدريس، وإجازة «الصَّحيحين»، وكُتُب «السُّنن»، و«مِشكاةِ المَصابـيح».

8. في هذه الجامعة رأينا شرحًا لـ: «صحيح البُخاري»، يُعدّ للطبع –الآن– ، وهوشرح الشيخ العلَّامة المُحدِّث عُبـيداللَّـه الرَّحماني المَبَارْكَفُورِي، تلميذ صاحب «تُحفة الأحوذي» .

9. عندنا سُئِل الإمام الألباني –رحمـه اللَّـه– عن أعلمِ أهلِ الأرض، قال: أعلمُ مَن وجدتُّ على وجـهِ الأرض أربعة: الشَّيخ ابْنُ بازٍ، والشيخ محمَّد الأمين الشَّنقيطي، والشيخ عُبـيداللَّـه الرَّحماني المَبَارْكَفُورِي، والشيخ محمَّد تقيّ الدِّين بن عبدالقادر الدين الهلالي المرَّاكشيّ .

10 . الشيخ عُبيداللّـه يفوق المذكورين –جميعًا– في علمِ الحديث؛ وله شرحٌ على كتاب «مِشكاة المَصابيح» سَمَّاه: «مِرْعَاة المَـفاتيح»، ماتَ قبلَ أن يُكمله، وبلغَ ما كتب منه ثمانِ مُجلَّدات ضخام، مطبوعات في الهند .

11 . هذا الكتاب: «مِرْعَاة المَـفاتيح» مِن أحسنِ الكُتُب التي يتذاكر فيـه الطَّلبة؛ ففيه بسطٌ للأقوال بإيجاز، مع بيانِ الرَّاجح، وبيان الصَّحيح مِن الضَّعيف .

12 . الشيخ الألباني كان يَعُدُّ الشيخ عُبيداللّـه مِن كبار علماء أهل الحديث، ولمَّـا سُئِلَ: هل تَعلم مَن هو مِثلكَ في الحديث؟! كان يقول: الشيخ عُبيداللّـه .

13 . الشيخ الألباني لَمَّا اجتمَعَ بـه في مِنَى وكان يُسأل –بحضرة: الشيخ ابنِ بازٍ، والشيخ ابنِ عثيْمين–، كان يَأْبَى إلا أن يُجيب الشَّـيخ عُبيداللّـه، وكان الشيخ عُبيداللّـه يُصِرُّ على ألَّا يُجيب! .

14 . الشيخ ابن باز –رحمه اللّـه– اسْتَشْكَلَت عليه مسائل في «مُسند الإمام أحمد»، وكاتب شيخنا (الألبانيّ) لحلِّها، فألَّف شيخنا –وقَلَّ مَن يعلم ذلك– كتابه العجيب: «الذَّبُّ الأحمدُ عن مُسندِ الإمام أحمد» إجابةً على أسئلةِ الشيخ ابنِ بازٍ–رحم اللّـهُ الجميع– .

15 . الهِـند فيها عدد من المخطوطات النَّفيسة، والكُتُب القديمة؛ فهي كنافذة تطُلّ على عالمٍ كبير، فهنالكَ أُلوفُ المخطوطات .

16 . للأسف؛ –وكالعادة في سائر بلاد الدُّنيا– مخطوطاتُنا، وكُتب عُلمائِنَا التي هيَ دَيْنٌ في ذِمَّتِنَا= إنما القائم عليها الغَرب!، ولا سيّما بريطانيا! التي اسْتعمرت الهِـند .

17 . مُنذُ سنة (1800م) أقامت المكتبات العامة، مثل: مكتبة (خُدَابَخْش) في: (بَتـنَا) .

18 . في مكتبة (خُدَابَخْش) ما يزيد عن (20.000) مخطوط! –جُلّها من النوادر النَّفائس– .

قال شيخُنا أبو عُبيدة: رأينا فيها مُصحفًا شريفًا مِن منسوخات القرن الثاني الهجري، مكتوبًا بخطٍّ كوفي، وهذا أقدم ما رأيتُ في (خُدَابَخْش) .

19 . وكذلك مُنشأة الجمعية الآسيوية البَنغالية في: (كَالكُوتَّا)؛ فيها: أُلُوف المخطوطات، وأقدم مخطوطات الدُّنيا–بغير اللغة العربية–، ففيه مخطوطاتٌ أيامَ الكتابة بالرسوم!، وفيها مخطوطات مكتوبة على الصخور–قبل الميلاد بنحو 300 سنة!!–، وفيها مخطوطات قديمة مكتوبة ومنقوشة على النُّحاس .

20 . قال شيخنا أبو عُبيدة: لعلي قرأتُ في هذه الرحلة ما يزيد عن أربعين مُجلد مِن فهارس المخطوطات!

21 . وهناك مِن المخطوطات نفائس وعجائب ومُخبّآت في المكتبات التي رأيتها؛ سواءٌ التي شاهدتُها أو وقفتُ عليها في الفهارس .

22 . أهل الهِند: أهلُ صبرٍ وجَلَد، وسُرعان مَا ينتفعون!

23. قال شيخنا أبو عُبيدة: أخونا وحبيبنا أبو أحمد عاطف كان رفقتي في الرحلة –والأخ حمزة المجالي-، وقد خاض أبو أحمد مُغامرات؛ فدَخلَ معابد البوذيين، وناقشهم!، بل ناقش امرأة تحملُ الدكتوراة في تعاليم بوذا، وسُرعان ما يَدخلون الإسلام، وبعضهم وعد بخيرٍ، ووعد أن يقرأَ القُرآن!

24. وهم يعترفون أنَّ بُوذا نبيٌّ للَّـه؛ وفي تعاليمهم: حُرمة الخمر، وحُرمة الزِّنَا!؛ فسألناهم: لماذا تعبدون بوذا، ولا تعبدون اللَّـه، بما أنَّكم تقولون إنَّ بوذا رسول مِن رسل اللَّـه؟

وقد سألناهم –وتكرر السؤال-: أينَ اللَّـه؟ فيقولون: في السَّماء(2)!!

25. سأنشر رحلتي للهند، وكذا رحلتي لأوزبكستان؛ تحت سلسلة سأُسميها –إن شاء الله-: (رحلات إلى بلادِ المَخطوطات)، زرتُ أوزبكستان، والهِند، وسأزور –إن شاء الله- بلاد الأندلس، والنَّيْجر، وسأكتبُ عنها، وكلتاهما فيها مِن المخطوطات الشَّيْء الكثير!.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمَّد، وعلى آلـهِ وصحبه أجمعين.

---

(1) قلتُ: وأيُّ نعمة أعظم مِن نعمة التَّوحيد؟!

(2) وصدقَ ربّي –سبحانه- إذ يقول: ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾؟.

استخرجها

محمُود بْنُ مُحمَّد حمدان

ليلة الخميس 12/ ذي القَعْدة/ 1434هـ.